العنف والمقاربات النظرية المفسرة له

د. مليكة بن زيان
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر
benzianemalika@yahoo.fr

تاريخ التلقي Submission date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ النشر Publication date
2020-08-26	2020-11-29	2020-12-27

الملخص

تعددت وتباينت تفسيرات العنف بتعدد المقاربات النظرية المختلفة التي تناولته بالدراسة والتحليل، وبالرجوع إلى التراث النظري فيما يتعلق بالعنف، يتضح أن هناك عدة مقاربات حاولت دراسة ظاهرة العنف وتحليلها وفهمها لغرض معرفتها والتصدي لها، وأبرز هذه المقاربات نجد المقاربة النفسية، المقاربة الاجتماعية، والمقاربة البيولوجية... والمقاربة التكاملية، إن هذه المقاربات تتكامل فيما بينها للوصول إلى رسم صورة واضحة لظاهرة العنف نظرا لتعقدها، ولغرض البحث عن تفسيرها و محاولة فهم عوامل انتشارها في المجتمع وفي مختلف مؤسساته وحتى على مستوى الشارع ومواجهتها.

وبناء عليه فإننا ومن خلال هذه الدراسة المكتبية سنتناول مفهوم العنف وأشكاله وبعضا من المفاهيم القريبة منه كما سوف نستعرض العديد من المقاربات النظرية التي حاولت تفسيره وفهمه.

الكلمات المفتاحية: النظرية النفسية، النظرية البيولوجية، النظرية السلوكية، النظرية المعرفية، النظرية الإنسانية، النظرية الاجتماعية.

Abstract:

Interpretations of violence have varied due to the multiplicity of different theoretical approaches that deal with violence in study and analysis, and referring to the theoretical heritage regarding violence, it appears that there are several approaches that attempt to study, analyze and understand this phenomenon for the purpose of knowing, confronting and confronting it, and the most prominent of these approaches are the psychological approach, the social approach and the biological approach. ...and the complementary approach, and these approaches are integrated with each other in order to reach a clear picture of the phenomenon of violence due to its complexity, and the purpose of searching for an explanation of the phenomenon of violence is to try to understand the factors of its spread in society, its various institutions, and even at the street level and address it. .

Accordingly, through this desk study, we will deal with the concept of violence, its forms and some of the concepts close to it. We will also review many theoretical approaches that attempt to explain and understand it. .

Key words: psychological theory, biological theory, behavioral theory, cognitive theory, social theory.

مقدمة:

تعد مشكلة العنف من المشكلات النفسية الاجتماعية المعقدة التي تستدعي البحث، والتي أدت إلى حيرة العلماء حول تقديم وجهات النظر متباينة لتفسير هذه الظاهرة فقد بات العنف أحد حقائق العصر، حيث تجتاح العالم موجة من العنف تهدده وتزعزع استقراره، فالعنف قديم قدم الإنسانية في حد ذاتها على وجه الأرض، وهو سلوك مركب ومعقد ويرجع في جذوره إلى عدة عوامل: بيئية ونفسية واجتماعية وتربوية.

كما يعد العنف مفهوما نظريا عاما يشكل موضوع دراسة العديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية...وهو جملة من الممارسات والسلوكيات غير المقبولة، الخاصة بالإنسان، تتداخل جدورها بالطبيعي والثقافي، بالنفسي والاجتماعي، الاقتصادي والسياسي...أنه ظاهرة إنسانية مركبة تتخذ العديد من الأشكال والتجليات، منها ما هو جسدي مادي فيزيائي ومنها ما هو معنوي رمزي إيديولوجي...، وللعنف أدوات ووسائل وأجهزة خاصة به.

وضمن هذا الإطار سوف نتناول مختلف المقاربات التي سعت تفسير ظاهرة العنف لغرض فهمها والبحث لحل لها.

أولا: مفهوم العنف وأشكاله والمفاهيم ذات الصلة به:

عند دراسة أية ظاهرة لا بد من تحديد المصطلح أو المفهوم وتقريبه إلى الحد الذي يفهم من سياق الدراسة معناه، وبما أن الدراسة تتحدد ملامحها بالتعرف على أبرز المقاربات النظرية المفسرة للعنف كظاهرة، فلابد لنا من معرفة مفهوم العنف وما يتصل به من مفاهيم وتعريفات متعددة. وسيبدأ البحث بعرض المصطلح الخاص بالعنف أولاً ثم التطرق لأشكاله وبعض المصطلحات ذات الصلة بهذا المفهوم.

أ- مفهوم العنف:

أوضح أحمد المجدوب وآخرون (2003، ص 12) أن كلمة عنف مشتقة من الكلمة اللاتينية «Violenta» وتعني الإظهار العفوي وغير المراقب للقوة كرد فعل على استخدام القوة المتعمد، ويشتق مفهوم العنف في الإنجليزية من المصدر «To violate» بمعنى ينتهك أو يعتدي، وهي تعني القوة والصرامة والإكراه. (المجدوب وآخرون، 2003).

يعرف العنف بأنه السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثماراً صريحاً بدائياً، كالضرب والتقتيل للأفراد، والتكسير والتدمير للممتلكات، واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره. ويمكن أن يكون العنف فردياً (يصدر عن فرد واحد) كما يمكن أن يكون جماعياً (يصدر عن جماعة) أو عن هيئة أو مؤسسة تستخدم جماعات وأعداداً كبيرة على نحو ما يحدث في التظاهرات السلمية التي تتحول إلى عنف وتدمير واعتداء، أو استخدام الشرطة للعنف في فضها للتظاهرات والاضطرابات (فرج عبد القادر، 1993، ص551).

ويعرف (مصطفى حجازي) العنف بأنه لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حيث يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته. والعنف هو الوسيلة الأكثر شيوعاً لتجنب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة بشدة، من خلال توجيه هذه العدوانية إلى الخارج بشكل مستمر، أو دوري وكلما تجاوزت حدود احتمال الشخص. (حجازي، 1976، ص263).

وبناء عما سبق ذكره فإن مفهوم العنف لا يخرج عن إطار التسبب بإضرار الآخرين والممتلكات، بالقتل أو التشويه أو الجرح، وذلك من خلال استخدام وسائل القهر والقوة أو التهديد من أجل تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة اجتماعياً.

ب- **أشكال العنف:** للعنف ثلاثة أشكال وهي: (الزين عمارة، 1986، ص 194)

1- العنف الموجه للذات: ويقسم هذا النمط إلى:

1-1-سلوك انتحاري: يتضمن الأفكار الانتحارية ومحاولات الانتحار والذي يدعى في بعض الدول أيضا "الانتحار التظاهري أو الإصابة الذاتية المدروسة" والانتحار العام.

1-2-انتهاك الذات: ويشمل أعمال كالتشويه الذاتي.

2- العنف بين الأشخاص: والذي يقسم إلى:

2-1-العنف العائلي وبين القرناء وثيقي الصلة: ويقع هذا النوع عادة في المنزل ولكن ليس بشكل مطلق، مثل انتهاك الأطفال وعنف القرناء وثيقي الصلة وانتهاك المسنين.

2-2- العنف المجتمعي: وهو العنف الذي يقع بين أفراد لا قرابة بينهم، وقد يعرفون بعضهم أو لا يعرفون، ويقع بشكل عام خارج المنزل، مثل عنف العصابات والأعمال العشوائية من العنف أو الاغتصاب بواسطة الغرباء، والعنف بالمؤسسات كالمدارس وأماكن العمل والسجون.

3- العنف الجماعي: وفيه يفترض وجود دافع محتمل للعنف ترتكبه الزمر الأكبر من الأفراد أو الدول ويقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

3-1-عنف اجتماعي: فقد يراد من وراء العنف الاجتماعي التعجيل ببرنامج خاص مثل جرائم الكراهية والمرتكبة من قبل مجموعات منظمة، والأعمال الإرهابية، وعنف العصابات الإجرامية.

3-2-عنف سياسي: ويشمل المعارك الحربية والعنف المرتبط بها وعنف الدول والأعمال المشابهة التي تنفذ بوساطة مجموعات أكبر.

3-3-عنف اقتصادي: وتشمل هجمات المجموعات الأكبر بدافع مكاسب اقتصادية كالهجمات التي تنفذ بهدف تعطيل الفعاليات الاقتصادية وتعطيل تحقيق الخدمات الأساسية، أو إنشاء تقسيمات أو تجزئة اقتصادية.

ج- **المفاهيم ذات الصلة بالعنف:**

فيما يلي عرض لبعض المفاهيم ذات العلاقة بالعنف، والتي تشمل: الغضب و العدوان.

1- **الغضب:**

يقول ابن منظور : الغَضَبُ : نَقِيضُ الرِّضَا . وقد غَضِبَ عَلَيْهِ غَضَباً وَمغْضَبَةً، وأَغْضَبْتُهُ أَنا فَتَغَضَّبَ. (ابن منظور ، د.ت ، ص 3262).

جاء في معجم علم النفس والتربية أن الغضب هو : " استجابة انفعالية يثيرها بوجه خاص التدخل والإهانة والتهديد ، وتتميز ببعض الخصائص مثل السلوك العدواني والتغيرات التي تبدو على الوجه "- (مجمع اللغة العربية ، د.ت، ص 14).

ويعرف عبد المعطي حسن (2003) الغضب على أنه: "هو انفعال يصدر عن الإنسان عند التعرض لمواقف أو أحداث معينة يشعر من خلالها بالإهانة أو لوم قاس يؤدي إلى انحطاط قدره بين أفراد المجموعة، وتظهر تداعيات الشعور بالغضب من خلال ردود فعل نفسية وأخرى جسمية، وتتفاوت درجة الانفعال الغاضب من حيث شدته ومدى تكراره واستمراريته من شخص لآخر. (عبد المعطي، 2003).

2- **العدوان:**

يعرف (شابلين) العدوان بأنه هجوم أو فعل معاد موجه نحو شخص ما أو شيء ما، كما يعني الرغبة في الاعتداء على الآخرين أو إيذائهم والاستخفاف بهم أو السخرية منهم بأشكال مختلفة بغرض إنزال أضرار أو عقوبة بهم، أو إظهار التفوق عليهم. (فرج طه، 1993، ص480)

ويعرفه العالمان T. Rgurr/H. Dgraham هو: " سلوك يهدف لإحداث جروح للأشخاص أو إتلاف الممتلكات سواء كانت جماعيا أو فرديا مهما اختلفت البواعث والمقاصد".(MICHAUD.Y , 1988, p7)

ويمكن التفريق بين العدوان والغضب من حيث أن الأفراد العدوانيين، يمضون في ممارسة العدوان حتى يصبحوا خطراً ويتمثل في سلوكهم هذا العنف الخطير، أما الغضب فينتهي بانتهاء الموقف الذي أحدثه.

الجدول رقم (1) يمثل الفرق بين العنف والعدوان

العنف	العدوان
محدد وهو صورة من صور العدوان (صورة واضحة)	أشمل وأوسع من العنف (صورة غير واضحة)
يعتمد على القوة ويعبر غالبا على البشر	ليس بالضرورة الاعتماد على القوة، قد يكون صورة نقاشية بسيطة
يهدف إلى السيطرة على الآخرين، يهدف إلى الموت، الإذلال والإخضاع	له نفس الأهداف مع العنف
هو التطاول على حرية الآخرين	العدوان كذلك هو تطاول على حرية الآخرين
العنف يكون موقتا ويأتي كرد فعل لسباب معينة وقد يزول السبب أو المنبه	العدوان هو طبع دائم يتصف به الشخص
العنف مقرون بالظلم والدفاع عن النفس	العدوان مقرون بالظلم فقط

المصدر: https://www.al3loom.com

واستنادا لما سبق يمكننا القول أن كل من العنف والعدوان هما وجهان لعملة واحدة وهي الظلم المنتشر في مختلف المجتمعات، بحيث يهدفان إلى إيذاء الآخرين، وإلحاق الأذى بهم وخرق الحريات الفردية والجماعية.

ثانيا: العنف من وجهة نظر مختلف المقاربات النظرية:

تعددت المقاربات النظرية التي تناولت بالدراسة موضوع العنف حيث حاولت تحديد طبيعته تبعا لتعدد وجهات النظر التي تم تناولها منها، كما اختلفت هذه المقاربات فيما بينها انطلاقا من التوجهات الفكرية التي تتبناها. وبمأن العنف ظاهرة متعددة الأوجه والمظاهر الأمر الذي أدى إلى دراستها من طرف مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية من مختلف الزوايا.

وفيما يلي سنتناول العنف حسب وجهة نظر أهم المقاربات النظرية الرئيسية :

1- مقاربة النفسية في تفسير العنف:

إن مدرسة التحليلي النفس والتي يعتبر سيغموند فرويد رائدها ترى أن العنف عبارة عن سلوك شعوري واع ينجم عن غريزة الموت والتي اعتبرها فرويد المسؤولة عن التدمير، والعنف حسبه دافع من الدوافع الغريزية المتعارضة، وهما غريزة الموت التي وظيفتها حفظ النوع، وغريزة الحياة التي تعمل على حفظ الفرد. إن نظرية التحليل النفسي قائمة على تفسير الشخصية والتي هي عبارة عن واقع أو حقيقة صراعية بين أنظمة أو سيرورة دينامية تدفع الطاقة النفسية في اتجاهات متعاكسة ومن بينها النزوات التي هي موجهة نحو التدمير الذاتي أو نحو تدمير الآخرين والتي أطلق عليها فرويد سنة 1915 بنزوات الموت، وبناء عليه فإن العدوان هو الشكل الذي تأخذه نزوة الموت عندما تكون موجهة نحو الذات أو نحو الآخرين.

ويرى فرويد بأن العنف سلوك واع شعوري ناتج عن غزيزه الموت التي افترض وجودها وهي المسؤولة عن التدمير وأن الشخصية الإنسانية عند فرويد تبنى أساسا على ثلاث عناصر متصارعة ومتناقضة وهي: (الهور والأنا والأنا الأعلى) ويرى أن السلوك الإجرامي يرجع إلى ضعف الأنا الأعلى أو انعدامها كليا مما يضعف القدرة على الضبط وقمع الدوافع العدوانية الاجتماعية. وأن العنف نتيجة الصراع بين الإنسان ونفسه وبين معطيات العالم المحسوس الذي يعيش فيه.(Diathine Gilbert (2003), p26)

لقد سعى فرويد إلى دراسة الجانب الغامض من النفس البشرية بغية إبراز حقيقة أن الإنسان ليس بذلك الكائن الطيب كما يزعم، فهو يعتقد بوجود بواعث معادية ضد المقربين، مهيأة للاندفاع إلى الخارج. إنها عدوانية كل واحد ضد الكل، والكل ضد الواحد.(يوسف منى ، 2006، ص 174.)، الإنسان ينزع إلى تلبية حاجاته العدوانية على حساب قريبه، وإلى استغلال عمله بلا تعويض، وإلى استعماله جنسيا من دون مشيئته، وإلى مصادرة أملاكه وإذلاله، وإلى إنزال الألم به واضطهاده، وصولا إلى قتله.(فؤاد هدية، 1998).

ويرى رواد هذه المدرسة أن العنف ينشأ بين الإنسان ونفسه ومعطيات العالم المحسوس الذي يعيش بين جوانبه، عندما تدفعه رغباته لكي يحقق أمرا معينا ويصطدم بعائق فأنه يقع نهبا للصراع النفسي إذا تعرض لمجموعة من القوى المتساوية تدفعه في اتجاهات متعددة فيصاب بالتشتت والتوتر والصراع الذي ينتج عنه سلوك العنف. ويشكل هذا الاتجاه النفسي صورة الصراع النفسي على أنها حرب ضروس تشنها أجهزة الشخصية، تلك الأجهزة التي صورها أصحاب مدرسة التحليل النفسي على الوجه التالي:

الهو	مركز الدوافع الجنسية	تسعى إلى إشباع ما يمكن إشباعه دون مراعاة مطالب الواقع
الأنا	ترتبط بالواقع	هناك من الدوافع ما يمكن إشباعه وما لا يمكن إشباعه
الأنا الأعلى	الرقيب أو الضمير	تراقب مطالب الهو وتعمل على كبح جماح الغرائز

الشكل رقم 01: يمثل العنف من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي

بينما ترى ميلاني كلاين أن العدوان (العنف) يعمل داخل الطفل منذ بداية حياته، فهي ترجع العدوان إلى العلاقة الأولية مع الأم من خلال تجربة الرضاعة، فالطفل عندما يرضع لا يبتلع الحليب فقط، وإنما تتشكل لديه في الوقت نفسه صورة عن الأم وعن نفسه، فإذا كانت هذه التجربة سارة ومطمئنة ومشبعة للطفل، تكون لديه صورة إيجابية عن الأم، وهذا ما تطلق عليه اسم صورة الأم الصالحة، أما إذا كانت هذه التجربة مؤلمة أو محبطة، ولم يحصل الطفل من خلالها على الارتياح والطمأنينة، فتتكون لديه صورة سلبية عن الأم، وهو ما تطلق عليه الباحثة أسم الأم السيئة.

وصورة الأم هذه، سواء كانت إيجابية أم سلبية، تكون النواة الأولى لكل صورة يكونها الطفل عن الآخرين، وعن العالم وذاته ووجدانه، وهكذا تؤدي صورة الأم الصالحة إلى تكوين صورة إيجابية عن الذات، وبالتالي تنشأ أنا أعلى ودودا، أما الصورة السيئة فتؤدي إلى تكوين قيمة عن الذات، وإلى تكوين أنا أعلى هجومي عنيف يمارس بطشه على الآخرين، كما يلجأ إلى تدمير الموضوعات الخارجية خوفا من تلقي الهجومات الانتقامية منها، وهذا التحطيم يولد في نفسه الخوف من انتقام هذه الموضوعات من خلال مبادلة العدوان والعنف، مما يؤدي إلى زيادة شدة القلق، وإلى المزيد من نزعات ونوبات العدوان والتحطيم. (بكري و عجوز، 2007، ص 25).

بينما "رايش" يركز في تفسيره للعنف على جملة من المبادئ حيث أن كل توتر عدواني ينتج عن الإحباط وشدة العدوانية تتناسب مع نمو عناصر الإحباط والحد من العدوان وإحباطه يولد عدوانية لاحقة، بينما يخفف

تفريغها من شدتها بشكل مؤقت أو دائم، في حين تزداد العدوانية الموجهة نحو الذات عندما يصعب توجيهها نحو الخارج.(حجازي، 1980، ص 189-190).

وفي نفس الاطار حاولت مختلف المقاربات النفسية ربط علاقة بين مظاهر العنف الخاصة وسمات الشخصية ومن ثم فقد قدم مفهوم الشخصية المجرمة أو ما يعرف بنظرية النواة المركزية للشخصية المجرمة.

(PINATEL, J. 1977, p 85)

هذه النظرية تعتبر الأولى التي ذكرت أن بعض سيمات الشخصية تعتبر من العوامل المساعدة على الإقدام على الفعل الإجرامي مثل الأنانية، واللامبالاة نحو المواقف العاطفية مما أدى إلى بناء سلالم لتشخيص الشخصية المجرمة التي تتضمن بعض السمات كعدم التحكم الذاتي وعدم التسامح اتجاه الإحباط.

كما يفسر بعض النفسانيون العنف اعتمادا على الإحباط، والإحباط هو سلوك عنيف لدى الفرد ينتج عندما يوجد عائق للوصول للهدف المرغوب، فالفرد يميل للعدوان نحو الأشياء التي تعوقه عن تحقيق الأهداف الهامة لديه أو التعبير عن رغباته وانفعالاته، وأن الإنسان ليس عنيفا بطبعه وإنما العنف نتيجة للإحباط الذي تعرض اليهم. (طاوس هشام، 2010، ص 125).

ويقول حلمي المليجي: "أن الفرد عندما يواجه إحباطا يقف حائلا أما إشباع حاجاته، فإن ذلك يؤدي إلى التوتر، وقد ينجم عن ازدياد التوتر باختلاف الأشخاص والظروف المحيطة، فيتخذ الفرد أسلوب الاعتداء والتنحي، وقد يصاب بالشخص بالخوف الشديد فيتراجع متنحيا المشكلة، ويفشل في التكيف ويعجز عن مواجهة الإحباط. (حلمي المليجي، د.س، ص 19).

فحسب متزعمي هذا التوجه في تفسير العنف هو أن الإحباط ينتج دافعا عدوانيا يستثير سلوك بهدف أو ينتهي بإيذاء الأخرين، وأن هذا ينخفض تدريجيا بعد أن يقوم الفرد بألحاق الأذى بالآخرين وهذه العملية تسمى التنفيس أو التفريغ، وحسب هذه النظرية فأن الإنسان ليس عدوانيا بطبعه.

ومع ذلك يمكن القول أن الإحباط لا يؤدي بالضرورة إلى السلوك العنيف، بل ممكن أن تظهر أنواع أخرى من السلوك مثل طلب العون والمساعدة من الآخرين أو الانسحاب أو الاتجاه إلى تعاطي المخدرات أو الخمور ويتدخل في هذا الأمر العديد من العوامل التي تم تنشئة الفرد عليها.

هذه النظرية وجه لها العديد من الانتقادات أهمها أنه لا يمكن أن يعتبر كل سلوك يقوم به الإنسان ناتج عن غرائزه، فلو كان هذا صحيحا يصبح همه هو إشباعها وبالتالي فالإنسان لا يمكنه أن يتحكم في عدوانيته، ولا في سلوكه لأنها لا تخضع للعقل، ثم أن أصحاب هذه النظرية أسرفوا في تأكيد أثر الطاقة الجنسية في توجيه سلوك الفرد، كما أكدوا على دور الدوافع في تكوين الشخصية وأهملوا دور العوامل الاجتماعية والثقافية.

ورغم كل هذا النقد الموجه لهذه النظرية يبقى القول أن للتفسير التحليلي المستمد من مدرسة التحليل النفسي أهمية كبيرة ذلك لأن معظم المنحرفين عن الطريق السوي في حاجة إلى المعالجة النفسية أكثر من إنزال العقاب بهم ويلزم معرفة دوافعهم الحقيقية وراء ممارستهم للسلوكيات العنيفة.

2- المقاربة البيولوجية المفسرة للعنف:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن هرمون الذكورة "الأندروجين" هو السبب المباشر لوقوع العنف بدرجات كبيرة بين الرجال وأن هذا الهرمون يفرز نسبة عالية أوقات النهار مما يزيد من حدة الغضب لدى الشباب وينمي مشاعر

الانفعال وينخفض إفرازه في المساء، ولقد أيدت هذه النظرية بعض التجارب المعملية على الحيوانات، ولكن بعض الآراء رفضت تفسير عنف السيدات بناء على هذا الاتجاه واعتبروه أمرا غير مقبول.

ويمكن استعراض عدة نظريات في هذا الاتجاه مثل : النظرية البيولوجية، والنظرية الوضعية، والنظرية الوراثية، وفيما يلي توضيح ذلك:

أ- النظرية البيولوجية:

لقد سعت النظرية البيولوجية إلى التأكيد بأن العدوان هو ولادي، كما تؤكد على سلسلة المنبه والاستجابة، وبالتالي السيطرة على العدوان، وهذا معناه أن العدوان هو سلوك غريزي والميولات العدوانية هي أساس استجابة غير متعلمة، هي استجابات موروثة يكون الكائن مزود بها عند مجيئه لهذا العالم وصورة الاستجابة يمكن أن تتعدل من الواقع والممارسة، وحسب التفسير البيولوجي للظاهرة فالتكوين البيولوجي للفرد هو المحدد الرئيسي للسلوك ومن رواد هذه النظرية "لومبروزو" الذي أكد على أن هناك علاقة وثيقة بين السلوك الاجتماعي ومظهر الجسم، وخاصة سمات الوجه، وقد أكدت دراسات "لومبروزو" بوجه عام على أن فكرة التكوين الفطري في تفسير السلوك الإجرامي، ويعتقد "شلدون" أن السلوك الإنساني بوجه عام هو وظيفة تنشأ عن بناء جسمي معين لذلك، يمكن التنبؤ به عن طريق القياسات والتحليلات الدقيقة لجميع الملامح الجسمية الظاهرة.(عزت إسماعيل، 1988 ، ص 64).

وحسب العالم Conrad Lorenz فإن غريزة العدوان ترتبط بواقع داخلي خاص يعبر عنه في شكل حاجة بيولوجية ويوجه سلوك العدوان في بادِئ الأمر إلى أعضاء نفس النوع حيث تقر هذه المدرسة بأن السلوك العدواني العنيف هو ناتج عن سلوك غريزي، وأن العنف الذي نلاحظه حولنا هو تعبير حتمي لا مر منه لهذا الدافع الغريزي. (عزت إسماعيل، المرجع السابق، ص 28.)

ومن العوامل البيولوجية التي تساهم في ظهور السلوك العنيف لدى الفرد: «الضعف العقلي، العاهات، دور السن" "مرحلة المراهقة"، "دور الغدد الصماء" ، "حدوث خلل في الإفرازات"، "الذكور أكثر عنفا من الإناث" وهناك من يربط بين العدوان والعنف والأساس البيولوجي أو الحيوي في شكل كروموزوم XYY في الذكور بمعنى وجود عامل وراثي في السلوك العنيف، فحالة وجود هذا الكروموزوم، وقد وجد هذا التركيب عند الكثير من السجناء، إلا أنه غير كاف لتعليل السلوك الإجرامي.(العيسوي، 1997 ، ص 70).

ب- النظرية الوراثية:

يرى علماء الوراثة أن هناك صفات أساسية في الفرد تأتيه من أبويه وأسلافه عن طريق الوراثة، فينتقل السلوك الجانح عن طريق الوراثة.

فحسب محمود حمودة (1991) فإن الأطفال كما يشبهون آبائهم من الناحية الجسمية والعقلية يشبهونهم سلوكيا وعاطفيا، وهناك قول قديم يقول بأن: "وصمة الإجرام تجري في عائلات معينة"، وتأكد ذلك بدراسة التاريخ العائلي لمضطربي السلوك ودراسة التوائم المتماثلة (أي هي تتكون من بويضة واحدة ملقحة) التي كشفت أنه إذا كان الآخر مجرما بنسبة ثلاثة من كل أربعة فإنه في التوائم غير المتماثلة (أي هي تتكون من بويضتين منفصلتين) تقل النسبة إلى واحد من كل أربعة.

وقد ثبت أن الخلية الإنسانية التي يتكون منها الكيان الإنساني تتكون من جزأين هما: النواة والبلازما، وتتكون النواة من مجموعة من الكروموزومات تحمل ما يعرف باسم الجينات أو الصبغيات أو الإمكانيات الوراثية للإنسان، هذه الجينات لها دور مهم في ظاهرة العدوان والسلوك العنيف على الرغم أن السلوك العدواني له صفات معقدة في البحث العلمي.

إن هذه النظرية ورغم التسليم باختلاف درجة التوافق في الإجرام بين التوائم المتماثلة والتوائم غير المتماثلة، فإن هذا الاختلاف لا يصلح دليلا كافيا على وراثة الإجرام، ومرد ذلك أن التماثل الكبير في السلوك الإجرامي بين التوائم المتماثلة قد يرجع إلى عوامل أخرى كالتماثل في البيئة الاجتماعية والتعلم والخبرة والموقف الذي يتم فيه هذا السلوك.

وعليه لا يمكن أن نسلم في كون الأسباب الفيزيولوجية وحدها مسؤولة عن السلوكيات العنيفة عند الإنسان وأنها توجه سلوكه فكما نلاحظ أن هذه النظرية أعطت أولوية لوراثة السلوك العنيف وأهملت أثر لما هو مكتسب من البيئة.

3- المقاربة الاجتماعية المفسرة للعنف:

تركز هذه المقاربة على السياق النفسي والاجتماعي للإنسان والظروف والمتغيرات التي أدت إلى استخدامه للعنف والعدوان للتعبير عن شخصيته للتصدي للإعاقات والشعور بالفوارق الاجتماعية البالغة الحدة التي تعوق تحقيق الهدف، فهو يتعدى التخريب والتدمير على نواتج هذه الظروف ما تبدو له مظاهر كثيرة في محيطه الاجتماعي.

ويمكن استعراض عدة نظريات في هذا الاتجاه مثل نظرية ابن خلدون، ونظرية الضبط الاجتماعي، ونظرية الثقافة الفرعية، ونظرية التعلم الاجتماعي، ونظرية التفكك الاجتماعي والجريمة...في تفسير السلوك العنيف وفيما يلي توضيح ذلك.

أ- نظرية بن خلدون:

إن مفهوم العصبية هو جوهر النظرية الاجتماعية عند ابن خلدون، فالعصبية تتضمن صلات النسب بالمجتمع خاصة بالمجتمع البدوي، حيث توجد صلة الدم وعلاقات القرابة الناشئة عن النظام الاجتماعي.

إن العصبية هي ارتباط داخل العشيرة والقبيلة ومجموعة الأقرباء الذين هم في نفس الدرجة تماما، كما أن المجتمع وإن كانت فيه عصبيات متعددة فلا بد أن تكون واحدة منها وهي الأقوى.

إن العصبية عند ابن خلدون تعني أساسا القوة الجماعية التي تمنح القدرة على المواجهة، سواء كانت المواجهة مطالبة أو دفاعا. (سموك علي، 2006، ص 85-86).

فما هو نوع العدوان الذي تتعرض له العصبية حتى يتم إيقاظ العصبية فيها؟ هذا السؤال تم طرحه من طرف الباحث سموك علي وكانت الإجابة كما يلي:

إن العدوان كفعل عنفي الذي يتحدث عنه ابن خلدون والذي يجعل منه الحافز الموقظ للعصبية يستهدف في الدرجة الأولى شؤون المعاش، ولذلك تجدهم يختصمون باستمرار على مواطن الرزق بل ولا يجدون حرجا في الاعتداء على الأموال والممتلكات وذلك بشهادة ان خلدون (فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه.(سموك، المرجع السابق، نفس الصفحة).

ومن هنا يفهم على أن نظرية ابن خلدون حول العنف تنحصر في الرابطة العصبية والمتمثلة في المصلحة المشتركة التي تدور حول أمور المعاش أي من أجل البقاء، والصراع العصبي هنا له صبغة اقتصادية جلية، ويعود ذلك لطبيعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في العمران البدوي في تلك الحقبة من الزمن.

ب- نظرية التعلم الاجتماعي:

يرى أصحاب هذه النظرية أن العنف سلوك متعلم أو سلوك يتم تعلمه من خلال عملية التفاعل الاجتماعي. ركزت هذه النظرية ضمن اهتماماتها على دراسة تأثير التعلم من خلال النمذجة والتي تعني التعلم من خلال ملاحظة وتقليد نماذج أخرى، في تطور الاضطراب السلوكي والمرض النفسي في الكثير من السلوكيات كتعاطي الكحول

والتدخين والمخاوف المرضية والسلوك الجنسي الشاذ، والسلوك العدواني، وفي ذلك يؤكد باندورا « Bandura » على أثر التقليد والنموذج على العدوان، حيث يرى أن الطفل يتعلم استجابات جديدة من النموذج، ويقوم بتقليد أو محاكاة السلوك الجديد، وأن رؤية السلوك العدواني من الكبار يضعف من أثر الكف الذي يتعرض له الدافع العدواني الكامن في نفسه فينطلق مسافرا دون قيد أو عائق... كما بؤكد باندورا على أن تعرض الأطفال المتكرر لنماذج العدوان والعنف سواء من خلال الوالدين والأقارب أو وسائل الإعلام، كل ذلك يشجع الأطفال على التصرف بعدوانية.(عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 72).

يضيف حمادة عبد السلام (2006) بقوله:" الناس يتعلمون سلوك العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أي سلوك آخر من أنماط السلوك الاجتماعي، وهناك كثير من الأدلة التي تؤكد أن سلوك العنف يتم تعلمه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها المؤسسات المختلفة للتنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق وغيرها".

لقد قام كل من والتر وباندورا (1983) بدراسة بعض العوامل كالممارسة التربوية للوالدين وتأثير نماذج الأب و الأم كنموذج يقتدى به وأثر ذلك على العنف فوجدا أن الطفل يقلد سلوكه. كما ترجع هذه النظرية مصدر العنف إلى التنشئة الاجتماعية المتسلطة ومشاهدة الأفراد للأفلام الكرتونية التي تعرف بقصص البطولة، والسلوكيات العنيفة تؤثر فيهم عن طريق التقليد والمحاكاة. (أبو زهري وآخرون، 2008، ص 134).

وتتلخص وجهة نظر باندورا في تفسير العنف كالتالي:

- معظم السلوك العدواني متعلم من خلال ملاحظة وتقليد الأقران والنماذج الرمزية كالتلفزيون.
- اكتساب السلوك العدواني من الخبرات السابقة.
- التعلم المباشر للمسالك العدوانية الإثارة المباشرة للأفعال العدوانية الصريحة في أي وقت.
- تأكيد هذا السلوك من خلال المكافأة والتعزيز.
- إثارة الطفل إما بالهجوم الجسدي أو بالتهديد والإهانات أو إعاقة سلوك موجه نحو هدف أو تقليل التعزيز أو إنهاءه قد يؤدي إلى العدوان.
- العقاب قد يؤدي إلى زيادة العدوان. (الفسفوس، 2006، ص 21).

وحسب نصر سميحة (1996) فإن هناك علاقة بين العنف علاقته بحل المشكلات حيث أن الفرد قد يلجأ أحيانا إلى العنف كأسلوب لحل المشكلات، ويتم ذلك بناء على خطوات للتعلم تبدأ بنقد الآخرين واتخاذ موقف منهم، ثم تطوير أساليب للتصنيف لأبعاد الآخرين، ثم أخيرا محاولة خلع الطابع الإنساني والشرعي على أفعال العنف الموجه نحو الآخرين.

ويعني ذلك أن السلوك العنيف هو سلوك يمكن تعلمه مثل كل السلوك الآخر.

ج- نظرية الضبط الاجتماعي:

تستخدم هذه النظرية من قبل المتخصصين الاجتماعيين وترى أن العنف ما هو إلا غريزة إنسانية داخلية، ويظهر العنف عندما يفشل المجتمع في ضبط أفراده وإحكام السيطرة عليهم، حيث يرى أصحاب هذه النظرية أن خط الدفاع الأول للمجتمع هو تلك المجموعات التي لا تشجع سلوك العنف، أما أولئك الذين لا يسيطرون عليهم من قبل أسرهم أو الجماعات الأولية فيتم ضبطهم والسيطرة عليهم عن طريق جبرية القانون والشرطة، وعندما يفشلان في إحكام السيطرة يظهر العنف، وبناء على ذلك فإن العنف من وجهة نظر هذه النظرية يتم ضبطه عن طريق المجتمع.

في هذا الإطار يقول السمري عدلي (1994) بأن نظرية الضبط الاجتماعي تنظر إلى الطبيعة البشرية من خلال وجهة النظر التي تفترض أن الانحراف أمر طبيعي وسوي، ومن خلال وجود نظام أخلاقي قائم، وإطار مرجعي تقليدي في المجتمع تجد هذه النظرية مؤسسات اجتماعية تزيد من قوة الرابطة التي تربط الأفراد بالنظام الأخلاقي وتضعف أيضا وتسمح هذه الرابطة الضعيفة بصورة آلية بحدوث درجة أكبر من الانحراف.

وقد أشار طلعت إبراهيم لطفي (2001) أن أصحاب نظرية الضبط الاجتماعي يرون أن خط الدفاع بالنسبة للمجتمع يتمثل في معايير الجماعة التي لا تشجع العنف وتستنكره، فأعضاء المجتمع الذين لا يتم ضبط سلوكهم عن طريق وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية وعندما تفشل الضوابط الرسمية، يظهر العنف بين أعضاء المجتمع.

وتبرز أهم النقاط الأساسية لهذه النظرية في :

- يخلق المجتمع مجموعة من القواعد التنظيمية التي تحدد الأفراد المجالات المقبولة وغير المقبولة بين الأنماط السلوكية الاجتماعية.
- تعتبر التنشئة الاجتماعية أهم الأدوات التي يضعها المجتمع لتحقيق الضبطية.
- عندما تصاب أدوات الضبط الاجتماعي بالضعف يصبح سلوك الأفراد أقرب إلى الانحراف منه إلى التوافق.(الخولي، 2008، ص 106).

وما يجب التركيز عليه هو أن هذه النظرية تفترض أن الدافع للانحراف شيء طبيعي يوجد لدى جميع الأفراد، إلا أن الطاعة والامتثال هي الشيء الذي يجب أن يتعلمه الفرد.

وعليه فإن هذه النظرية تعبر أن خط الدفاع الاجتماعي الأول بالنسبة للمجتمع يتمثل في معايير الجماعة التي لا تشجع على العنف، وترفضه، لأنه سلوك غير مقبول ومستهجن اجتماعيا.

د- النظرية البيئية في تفسير العنف:

تعتبر البيئة الأسرية أهم بيئة في حياة الفرد، أو هي أول ما يفتح عليه عينيه ليقضي فيها السنوات الأولى من حياته وهذه السنوات لها أثر كبير في تكييف شخصيته، وتلي البيئة الأسرية في الأهمية باقي البيئات الخارجية التي يعيش بها الإنسان وتؤثر في شخصيته أيضا كالمدرسة والشارع والمسجد والمصنع والنادي والمقهى ...

إن نقص التفاهم والشعور بالدفء بين الوالدين داخل الأسرة من خلال استخدام العنف البدني واللفظي ونقص التوجيه السليم لسلوك الطفل وتوجيهه نحو ممارسة الأنشطة بطريقة سوية والحماية الوالدية المفرطة أو القسوة المبالغ فيها ... كل ذلك يؤدي إلى السلوك العنيف للطفل منذ نعومة أظافره.

فالعنف سلوك متعلم ويقوى داخل الأسرة في ظل ظروف والدية غير ملائمة، حيث أن الوالدين يسيئان تعليم أبناءهم يصرفون مجهودات بإقناعهم بأن العنف والعدوان له نتائج فعالة للسيطرة على الآخرين والحصول على ما يريدون، وبذلك ينتقل السلوك العنيف من الآباء إلى الأبناء ثم تنتج في المجتمع دائرة العنف.

هـ. نظرية ثقافة العنف أو نظرية الثقافة الفرعية:

تركز هذه النظرية على أحد المداخل الحديثة في تفسير ظاهرة العنف وينبني هذا المدخل على افتراض وجود ثقافة للعنف في المجتمع، هناك من أطلق على هذه النظرية اسم "نظرية الثقافة الفرعية" ويشير كوهين (1955) إلى أن الثقافة الفرعية هي التي تكتسب عن طريق التفاعل بين أفراد المجتمع، وهذه الثقافة عبارة عن أنماط سلوكية منظمة بشكل منافي لأنماط الثقافة الأم، وتظهر هذه الثقافة من خلال وسائل الإعلام أو الروايات التي تشيد بالعنف أو وجود معايير أو قوانين في التعاملات الاقتصادية والاجتماعية حيث تقوم هذه المعايير على أفكار تساير

العنف وتحث عليه، مما جعل مبدأ البقاء للأقوى، مما يزيد من احتمالية وقوع العنف، ومن خلال تلك القوانين والمعايير تتجسد ثقافة في المجتمع تقوم بتمجيد وتعظيم العنف.(العيسوي، 1988 ، ص 157).

ويرى ريشار لورانس Richard Lawrance (1989) أن الباحثون الذين يتبنون هذه التفسيرات الخاصة بالثقافة الفرعية يميلون إلى أن قيم واتجاهات شباب الطبقة الدنيا تختلف عن مفهوم قيم الطبقة المتوسطة، فالشباب الذين يعانون من الفقر والمشكلات الاجتماعية والجريمة يتبنى قيما واتجاهات مختلفة، وحيث تكون الجريمة والعنف شائعة أكثر تكون اتجاهات الشخص المضاد للقانون وقوة ردعه، كما ينظر للسلوك العنيف بأنه عادي وجزء مقبول من الحياة، وينظر لانتهاكات القانون مثل السرقة والإتجار بالمخدرات والدعارة من البعض على أنها أسلوب للتغلب على البطالة والفقر وتفضل التهديدات والهجمات الجسيمة على المفاوضات الكلامية كوسيلة لحل النزعات.

تكشف هذه النظرية عن أن الاتجاهات نحو العنف تختلف بشكل كبير من جماعة إلى أخرى داخل نفس المجتمع، وتتميز الثقافة الفرعية للعنف بأن لها اتجاهات إيجابية نحو العنف وأن هذه الاتجاهات تشجع على ظهور سلوك العنف في كثير من الأحيان، كما يفضل المؤيدين لهذه الثقافة الفرعية أسلوب الخشونة كما يشجعون السلوك العدواني بين الذكور.

لقد وجه لهذه النظرية عدة انتقادات ولعل أهمها أن فكرة عنف الذكورة ليس بنمط واحد لدى أفراد المجتمع، ويؤكد منتقدو هذه النظرية على أن أوليائك الذين يلجؤون للعنف ليس بالضرورة أن يكونوا عدوانيين ولكن الموقف نفسه يحتم عليهم نفس السلوك.

و- نظرية المخالطة الفارقة:

تعد نظرية المخالطة الفارقة للعالم أدوين سذر لاند إحدى النماذج التفسيرية من المدرسة الاجتماعية التي تفسر السلوك الإجرامي وهي أكثر شيوعا لأنها تعتبر أكثر الاتجاهات والنظريات والنماذج شمولا للعوامل التي تؤدي أو قد تؤدي إلى الجريمة.

فالفرد في ظل هذه النظرية محاط بقوى مؤيدة للجريمة ومحبذة لها وقوى معادية للجريمة لكن عندما يغلب رأي القوى المعادية للجريمة والسلوك الإجرامي لدى الجماعة التي يتفاعل فيها الفرد سوف يتعلمه ويعادي وينبذ الجريمة، ويظهر العكس عندما يغلب الرأي المؤيد للجريمة والمحبذ لها فإن الفرد سوف يتأثر بهذا الرأي وقد يتقمصه مما قد يؤدي به إلى الإجرام خصوصا عندما يصبح في موقف مناسب لذلك.

وفيما يلي بعض الفروض التي تشكل أساس نظرية المخالطة الفارقة(طالب، 2002، ص119).

- السلوك الإجرامي سلوك مكتسب(متعلم).
- يكتسب السلوك الإجرامي عن طريق التفاعل والمخالطة مع أشخاص آخرين.
- يتعلم الفرد اتجاه ونمط السلوك المعني حسب اتجاه رأي الزمرة المخالطة.
- عندما يغلب الفرد المخالط الرأي أو الاتجاه أو الجانب الذي يذهب إلى مخالفة الأنظمة والقوانين والضوابط يقتنع بجدوى وأهلية الفعل الإجرامي على الرأي الذي يغلب احترام الأنظمة والقوانين والضوابط حينها فقد ينحرف أو يسلك الإجرام.
- عندما يتعلم الفرد سلوكيات وثقافة الأشخاص المختلط بهم فإن ذلك يتم بأشكال عدة من وسائل وميكانيزمات التعلم وليس عن طريق وسيلة واحدة وليس عن طريق المحاكاة أو التقليد فقط.

وعليه فإن هذه النظرية ترى أن العنف هو نتيجة مخالطة الفرد لبعض الأفراد في الشارع أو العمل أو المدرسة...على اعتبار هذه الأماكن تعتبر وسط اجتماعي يتم فيه التفاعل مما يؤدي إلى تناقل الأفكار الغير مرغوب فيها اجتماعيا بصفة مباشرة ومستمرة مما يؤدي إلى الخروج عن الطريق السوي حينما تكون أفكار هذه الجماعة مؤدة لذلك.

4- النظرية السلوكية وتفسيرها لظاهرة العنف:

يرى أصحاب النظرية السلوكية والتي وضع أساسها في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي Watsonو Pavlov رائدا المدرسة السلوكية المبكرة، بين الحافز أو المثير والسلوك، فهي تقوم على فكرة وجود حافز للسلوك وتكرار للسلوك، بالتالي فإن سلوك الإنسان مكتسب بالتعلم من البيئة والمواقف الحياتية المختلفة، كما أن تكرار السلوك محل الاهتمام أو الاعتياد عليه يؤدي إلى اكتساب العادات وممارستها بشكل مستمر. (المريخي، 1013، ص 25).

ويؤكد واطسن « Watson» أن السلوك العدواني عند الفرد محكوم بالمثيرات البيئية، وأنه كلما زادت المثيرات التي تؤدي إلى الاستجابات العدوانية، كلما نمت صفة العدوان، وهذا ما أسماه "واطسن" بمبدأ التكرار، ولن يتم ذلك التكرار إلا إذا قوبل بالدعم والتعزيز وبذلك تصبح صفة العدوان رهينة تكرار المثيرات وتدعيمها.

كما يذكر سكينر "Skinner" أن سلوك الناس متعلم، وأنه محكوم في أي وقت بالكثير من العوامل المستقلة في أساسها، ولهذا يجب ألا يتوقع الناس إدراك الكثير من الأنساق السلوكية من موقف إلى آخر، ومثال ذلك أن الفرد الشديد العدوان في بعض المواقف، يبدو عاطفيا وحنون في مواقف أخرى، أي أن الفرد في أي وقت يعتمد على تاريخ تعلمه العدوان والظروف الحالية. (الزعبي، 2001، ص125).

ويضيف سكينر إلى أن الإنسان يتعلم السلوك عن طريق الثواب والعقاب، فالسلوك المثاب لدى الفرد يميل إلى تكراره، والسلوك المعاقب لديه لا يكرره، وهذا السلوك ينطبق على العنف والعدوان، كما أن مكافأة السلوك العدواني يؤيد هذا السلوك حتى ولو كانت هذه المكافأة غير منتظمة.(أيمان إبراهيم ، 2008).

أما فيما يخص السلوكيون الجدد من مثل دولارد وميللر « Dollard and Miller » يؤكدان على أن الصراع اللاشعوري الذي تعلمه الطفل خلال مرحلة المهد والطفولة هو أساس المشكلات الانفعالية، في مراحل العمر التالية، وأن الطفل يتعلم الصراع العصابي أو حتى السلوك العدواني والسلوك المنحرف نتيجة المعاملة الوالدية والإساءة إلى نموه، لذلك ركزا على أهمية المحتويات اللاشعورية كمحددات لتعلم السلوك من خلال الخبرات المكبوتة لدى الفرد. (القريطي عبد المطلب ، 1998 ، ص 63).

وما يمكن استخلاصه من هذه النظرية في تفسيرها لظاهرة العنف هو أن سلوك العنف مثله مثل أي سلوك آخر يمكن التوصل إليه وتعديله من خلال قوانين التعلم، حيث ركز أصحاب هذه النظرية على أن سلوك العنف متعلم من البيئة وعليه فإن المثيرات التي اكتسبها فرد ما وفيها سلوك عنيف قد تم تعزيزه وتدعيمه.

5- النظرية المعرفية المفسرة للعنف:

حاول علماء النفس المعرفيون في دراساتهم وبحوثهم إلى معرفة كيفية إدراك العقل الإنساني وقائع أحداث معينة في المجال الإدراكي أو الحيز الحيوي للإنسان كما يتمثل في مختلف المواقف الاجتماعية المعاشة وانعكاساتها على الحياة النفسية للإنسان مما يؤدي به إلى تكوين مشاعر الغضب والكراهية، وكيف أن مثل هذه المشاعر تتحول إلى إدراك داخلي يقود صاحبه إلى ممارسة السلوك العدواني ومن ثم كانت طريقتهم العلاجية للتحكم في هذا النوع من السلوك العدواني عن طريق التعديل الإدراكي وتزويده بمختلف الحقائق والمعلومات المتاحة في الموقف مما

يوضح أمامه المجال الإدراكي ولا يترك فيه أي غموض أو إبهام مما يجعله متبصرا بكل الأبعاد والعلاقات بين السبب والنتيجة. (نوح الشهري، 2009، ص 18).

ويذكر كيلي « Kelly » إلى أن الشخص يعاني من القلق مثلا إذا لم يمده جهازه التكويني بوسيلة يتعامل بها مع خبرة ما من الخبرات، أو حيث يعجز عن تسمية هذه الخبرة أو إحلالها دليل ذلك الجهاز، كما يشير كيلي إلى أن الشخص الذي يعاني من تهديد ما فإنه يشعر بأن تغيرا أساسيا على وشك الحدوث في جهازه التكويني، فإن ذلك قد يؤدي بالشخص إلى ارتكاب سلوكا إجراميا مثل الانتحار.(الزعبي، المرجع السابق، ص 145).

كما أكد ألبرت إليس « Albert Ellis » على أن الناس يتحكمون في أقدارهم بما يحملونه من قيم ومعتقدات والتصرف بموجبها، حيث أن الناس يصبحون مضطربين في لغتهم ويفكرون ويتصرفون على نحو غير مميز وواضح طبقا لأفكارهم الخاطئة، كما يشير إليس إلى أن أي تفكير أو سلوك أو انفعال يؤدي إلى عواقب غير سامية، كهزيمة الذات أو إحباطها أو تدميرها، إن ما يؤدي إلى خطورة بالغة في سعادة الفرد أو بقاءه على قيد الحياة. (الزعبي، المرجع السابق، ص 153).

ولهذه النظرية مذهبين الأول اصطلح على تسميته باتجاه العدوان الانفعالي الذي يركز على العدوان غير المتسم نسبيا بالتفكير والذي يعتبر خط الأساس التي ترتكز عليه، و المؤكد أن الأفكار لها تأثير على السلوك الانفعالي، فالأشخاص الثائرون يتأثرون بما يعتبرونه سببا بإثارتهم وأيضا بكيفية تفسيرهم لحالتهم الانفعالية. (الفسفوس، المرجع السابق، ص21).

أما المذهب الثاني فيما يخص النظرية المعرفية فيتمثل فيما اصطلح على تسميته بالعدوان الإبداعي ويتضمن الفهم الكامل لكل من المستويات الظاهرة والمستترة للعدوان البشري، كما يسهم في الوقاية من سوء إدارة وتدبر العدوان المدمر، لهذا يستخدمه كثيرا من المعالجين كمنهج فعال في التدريب والعمل الإكلينيكي مع الأفراد العدوانيين. (عصام العقاد، 2001، ص 119-120).

ورغم اختلاف المعرفيون من حيث منطلق تعدد آرائهم يتفقون حول أن الاضطرابات النفسية والسلوكية وسلوكيات الإجرام تعود إلى خلل معرفي أو عجز معرفي في التعاطي مع الموضوعات والأشياء.

6- النظرية الإنسانية وتفسيرها للعنف:

يعد كارل روجرز « Karl Rogers » من مؤسسي النظرية الإنسانية حيث يرى أن الناس يسيطر عليهم دافع تحقيق الذات، ويبقى هذا الدافع هو المحرض الداخلي لسلوك الفرد، وقد تنشأ صراعات بين الحاجيات التي تدفع إلى تحقيق الذات والحاجيات الناتجة عن تقدير الذات مما يؤدي إلى سوء التكيف للفرد، وقد يتطور سوء التكيف عند الفرد عندما يمر بخبرة غير منسجمة مع شروط تقدير الذات لديه، فإن هذه الخبرة لا تنضم ضمن نظام خبرات الشخص بشكل يقبله، عندما يناله التشويه والتحريف والانكسار، الأمر الذي يحدث التناقض بين الذات، والخبرة، ويصاحب هذا التناقض الذي يعيشه الفرد شعور التهديد والقلق، عندما يزداد هذا التناقض بدرجة عالية، فإن الفرد سوف يكون مضطرا إلى مساعدة تجعله منسجما مع الذات، وعندما لا يحصل له هذا الانسجام يجد نفسه محاطا، عندما يشعر بقوة اتجاه العدوان على الذات والآخرين.(القريطي عبد المطلب، المرجع السابق، ص 85).

كما يرى أصحاب هذه النظرية ومن بينهم أبراهام ماسلو « Maslow » أن الفرد في سياق نموه وتفاعله الاجتماعي مع الآخرين يحتاج إلى إشباع حاجات متعددة كالحاجة إلى الحب والأمن والتقدير الاجتماعي وغيرها من الحاجات النفسية التي وضعها في شكل مدرج هرمي يبدأ بالحاجات الفسيولوجية وينتهي بالحاجة إلى تحقيق الذات في عمة الهرم وأنه من ضرورة إشباع هذه الحاجات حتى يشعر الفرد بالتوافق النفس والاجتماعي، ولكن عندما يكو ن

الطفل محروما من إشباع حاجاته النفسية وخاصة الحاجة إلى الأمن فإن ذلك ينعكس على سلوكه، وبالتالي يترتب عليه عدم الإحساس بالأمن والشعور بالنقص وضعف الكفاءة، وبالتالي يشارك الطفل في سلوكيات غير مرغوبة كالعدوان والعنف.(ملجم، 2002، ص 40-41).

ويرى أصحاب هذه النظرية أن أي إحباط يصيب الفرد ويؤدي إلى تهديد إشباع حاجاته الأساسية سوف يؤدي إلى تقييم سيء للذات ونقص احترامها مما قد يلعب دورا إلى أن يسلك هذا الفرد سلوكا إجراميا، فالصراعات التي تحدث بين الحاجات التي تدفع إلى تحقيق الذات والحاجات الناتجة عن تقدير الذات تؤدي إلى سوء تكيف الفرد مما قد يدفعه إلى سلوك سلوكا إجراميا بسبب عدم تكيفه هذا.

7- النظرية التكاملية المفسرة للعنف:

تعتبر النظرية التكاملية من أحدث النظريات التي درست السلوك الإنساني فهي ترى أن العنف ظاهرة إنسانية واجتماعية ذات أبعاد متعددة ومتداخلة في الوقت نفسه وهي ترفض النظرة الأحادية أو التفسير الأحادي الذي ينظر للعنف من زاوية واحدة، ذلك أن هذا التفسير لا يتفق مع تعدد وتشابك العوامل المتعددة والمسببة للعنف، كما أن النظرة التكاملية تؤمن بضرورة تكاثف التخصصات المختلفة وذلك بالاستفادة من نتائجها.

بالتالي فإن النظرة التكاملية بمثابة "الفهم النفسي المتكامل" لهذه الظاهرة، لاسيما وأن هذا الفهم اعتمد على التفسيرات السابقة التي ينطوي كل منها على جانب من الأهمية نظرا لكون كل نظرية قد كشفت الغطاء عن جزء أو زاوية، ولم تغط بقية الجوانب، ولذلك فإن الاستفادة منها جميعا مطلبا نفسيا واجتماعيا ومنهجيا للوصول إلى الفهم الناضج والمتكامل.(الشهري عبد الله، 2008، ص 30-31).

وما يمكن فهمه من هذه النظرية هو أن عوامل العنف عديدة ومتشابكة حيث يرجع بعضها إلى الفرد نفسه (عوامل بيولوجية ونفسية) ويرجع البعض الآخر إلى بيئة الفرد التي يعيش فيها، وبذلك لا يمكن إرجاع ممارس السلوك العنيف من طرف الفرد إلى عامل واحد، وإنما هو حصيلة عوامل مختلفة متفاعلة مع بعضها البعض سواء كانت نفسية أو بيئية أو عضوية، حيث أنه لا يمكن الفصل بين الفرد وبيئته فكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.

الخاتمة:

بناء عما سبق ذكره من مقاربات، نلاحظ أن جميعه تفتقد إلى الشمولي للفرد، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الفرد متعدد الأبعاد (نفسي، اجتماعي، فسيولوجي، معرفي..)، حيث نجد أن جميع هذه المقاربات انتهت إلى التركيز على بعض الأسباب، وإهمال البعض الآخر، فالاتجاه البيولوجي يقر بأن الإنسان عنيف بطبعه، وهو حصيلة لمجموعة من الخصائص البيولوجية، كما أكدت أيضا على السلوك العنيف وراثي، معنى يولد الإنسان محملا بجينات العنف من والديه فلا حيلة له في ذلك، أما أنصار الاتجاه النفسي، فيقولون بأن العنف سمة من سمات الشخصية، وأن الإنسان عدواني بالفطرة، حيث ربطوا العنف بغريزتي الموت والحياة، في حين ربطت نظرية التعلم الاجتماعي سلوك العنف بالملاحظة والتقليد، فالأطفال يتعلمون السلوك العنيف بنماذج تقدمها الأسرة والأصدقاء، ومختلف المجموعات البشرية، أما النظرية التكاملية فهي تربط بين كل هذه النظريات، إذ تؤكد على أن الفرد كل متكامل، فسلوك العنف يحدث نتيجة عوامل بيولوجية عضوية، نفسية وبيئية.

وبناء على ذلك فإذا أردنا تفسيرا متكاملا وشموليا للعنف فيجب التسليم بأنه محصلة مجموعة من العوامل المتفاعلة البعض منها ذاتي والبعض الآخر راجع لمواقف الحياة التي نعيشها بما يتخللها من إحباطات وصراعات

وثواب وعقاب وغيرها والبعض الآخر الذي ينجم عنه العنف يكمن في التنشئة الاجتماعية والتي يتعرض لها الشخص من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأولية وانتهاء بالمؤسسات الثانوية المختلفة.

قائمة المراجع:

- إبراهيم جمال الدين إيمان(2008)، العنف كما يدركه المراهق 15-16 سنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، معهد الدراسات العليا للطفولة، القاهرة.
- ابن منظور (د.ت)، لسان العرب ، القاهرة: دار المعارف، .
- أبو زهري علي وآخرون(2008)، اتجاهات طلاب الجامعات الفلسطينية نحو العنف ومستوى ممارستهم له، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، غزة.
- بكري أمل و عجوز نادية (2007)، علم النفس المدرسي، الأردن: دار المعتز للنشر والتوزيع.
- التقرير الأول: العنف الأسري: منظور اجتماعي وقانوني، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
- حجازي مصطفى (1976)، التخلف الاجتماعي، بيروت : معهد الإنماء العربي، .
- حجازي مصطفى (1980)، المتخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، لبنان: معهد الإنماء العربي.
- حمادة عبد السلام(2006)، العنف في المرحلة الثانوية، القاهرة: دار المعارف.
- الزعبي محمد أحمد(2001)، الإرشاد النفسي : نظرياته اتجاهاته، مجالاته، الأردن: ماسة الثقافة العربية.
- السمري عدلي(1994)، السلوك الإجرامي: النظريات، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- سموك علي(2006) ، إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقاربة سوسيولوجية، قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الشهري عبد الله أبو عراد(2008)، فعالية الإرشاد الانتقائي في خفض مستوى العنف لدى المراهقين. رسالة منشورة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية.
- الشهري نوح عبد الرحمن(2009)، العنف لدى طلاب المرحلة المتوسطة في ضوء بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية، رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- طالب حسن 2002)، الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية، بيروت: دار الطليعة.
- عبد المعطي حسن (2003)، الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة: الأسباب والتشخيص والعلاج، القاهرة: مكتبة القاهرة للكتاب.
- عزت سيد - إسماعيل(1988)، سيكولوجية الإرهاب وجرائم العنف، الكويت : منشورات ذات سلاسل.
- عمارة الزين عباس (1986)، مدخل إلى الطب النفسي، بيروت: دار الثقافة والنشر والتوزيع .
- العيسوي عبد الرحمن (1997)، سيكولوجية المجرم، مصر : دار الراتب الجامعية.
- فرج عبد القادر طه (1993)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الكويت: دار سعاد الصباح.
- فرج عبد القادر طه(1993)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الكويت: دار سعاد الصباح.
- الفسفوس عدنان أحمد(2006)، الدليل الإرشادي لمواجهة السلوك العدواني لدى طلبة المدارس، المكتبة الإلكترونية، أطفال الخليج.
- فؤاد هدية (1998)، الفروق بين أبناء المتوافقين زواجيا وغير المتوافقين في كل من درجة العدوان ومفهوم الذات، مجلة علم النفس، عدد 12، القاهرة : الهيئة المصرية.
- القريطي عبد المطلب أمين (1998)، في الصحة النفسية، القاهرة: دار الفكر العربي.
- المجدوب أحمد وفادية أو شهية و عبد الغني ماجدة (2003)، ظاهرة العنف داخل الأسرة المصرية.
- مجمع اللغة العربية : معجم علم النفس والتربية.

- ملجم سامي محمد (2002)، مشكلات طفل الروضة : التشخيص والعلاج، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- نصر سميحة(1996)، العنف والمشقة: الاستهداف للعنف والتعرض لأحداث الحياة المُشقة، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
- هشام طاوس (2010)، التكفل المعرفي لضحايا العنف الزوجي، رسالة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة تيزي وزو، الجزائر .
- يوسف منى (2006)، نحو استراتيجية لمواجهة العنف في المجتمع المصري، مصر: المركز القومي.
-DIATHINE Gilbert (2003), violence, culture et psychanalyse, éd. Sarp, Paris
- MICHAUD.Y.(1988) La violence, édition, que sais-je, PUF, paris,
-LAWRENCE. R ,. (1998), school crime and juvenile justice, Pub. Oxford University Press, Inc.
-PINATEL, J. (1977), Trait de droit pénal et de criminologie t.3. la criminologie. Paris. Dalloz ma édition.
- https://www.al3loom.com(أسباب وأشكال العنف في المدارس (دراسة ميدانية